

النشرة الأسبوعية

أكتوبر 2007

النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات أكتوبر 2007

المجلد 2، الجزء 2 - أسبوع 3. أكتوبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



أسبوع 3: أكتوبر 2007

النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات أكتوبر 2007

الفهرس

	الإثنين 01-10-2007:
148	31- الصوفية والفترة والتركيب البشرى (2)
	الثلاثاء 02-10-2007:
154	32- سر اللعبة
	الإربعاء 03-10-2007:
161	33- اللعب مع الأسوياء: خفيف خفيف!!
	الخميس 04-10-2007:
167	34- في شرف صحبة "نجيب محفوظ" (2)
	الجمعة 05-10-2007:
172	35- حوار/ بريد الجمعة
	السبت 06-10-2007:
191	36- الطفل: "مشروع" يحمل كل النقائص!! فلا تحتزلوه !!
	الأحد 07-10-2007:
199	37- الخوف من الحب (1)
	الإثنين 08-10-2007:
212	38- الخوف من الحب (2)
	الثلاثاء 09-10-2007:
221	39- "طاغور" يرد "عليها" قبل أكثر من نصف قرن
	الإربعاء 10-10-2007:
223	40- التحكّم، والخوف من فقدة (2)
	الخميس 11-10-2007:
230	41- في شرف صحبة نجيب محفوظ (3)
	الجمعة 12-10-2007:
236	42- حوار/ بريد الجمعة
	السبت 13-10-2007:
249	43- العيد .. والناس.. والحب.. وربنا !
	الأحد 14-10-2007:
252	44- التحكّم، والخوف من فقدة (3)

- الإثنين 15-10-2007:
- 261 45- بعض وصف بعض مصر (1)
- الثلاثاء 16-10-2007:
- 267 46- من ملف القيم والأخلاق: بحث علمي شعبي !! (2)
- الإربعاء 17-10-2007:
- 271 47- لغة الطبقة "البيئة"، والقيم اللاأخلاقية
في الأمثال الشعبية
- الخميس 18-10-2007:
- 278 48- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاهاة (2)
- الجمعة 19-10-2007:
- 282 49- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 20-10-2007:
- 289 50- التحكّم، والخوف من فقدة (4)
- الأحد 21-10-2007:
- 295 51- سؤال & جواب عن الإدمان
- الإثنين 22-10-2007:
- 301 52- التحكّم، والخوف من فقدة (5)
- الثلاثاء 23-10-2007:
- 307 53- "أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (1)
- الإربعاء 24-10-2007:
- 314 54- "أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (2)
- الخميس 25-10-2007:
- 324 55- قراءة في "أحلام فترة النقاهاة" (3)
- الجمعة 26-10-2007:
- 329 56- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 27-10-2007:
- 340 57- التحكّم، والخوف من فقدة (الأخير)
- الأحد 28-10-2007:
- 346 58- السيرة الذاتية والإبداع (1)
- الإثنين 29-10-2007:
- 352 59- السيرة الذاتية والإبداع (2)
- الثلاثاء 30-10-2007:
- 359 60- حالات وأحوال (طب نفسي)
- الإربعاء 31-10-2007:
- 370 61-...في مثل "ذلك" اليوم: "وعد بلفور"

الإثنين 15-10-2007

45- بعض وصف بعض مصر (1)

من ملف القيم والأخلاق في مصر الآن

منهج للبحث العلمي يقوم به الشخص العادى لفحص القيم السائدة والواعدة:

- 1) نبدأ بالكلمة التي تصف القيمة المعنية (سلبية أو إيجابية أو واعدة) أو غير ذلك،
 - 2) ننتقلها، نتأملها، ونحسن الانصات لرنينها داخلنا،
 - 3) ثم نتلفت نتابعها بأى قدر من الحدس والأمانة : فيما حولنا وفيمن حولنا،
 - 4) ثم نرجع إليها لنعيد النظر فيها، ونتحاور، أو لا نتحاور
 - 5) ثم نتحمل مسئولية النتائج
- ولكن لنبدأ من البداية (يمكنك أن تقرأ هذا الموضوع على أنه من باب الفكاهة! أو كما تشاء)

في ثلاث يوميات متتالية (23 - 24 - 25 سبتمبر) قدمنا عناصر كتاب، أو "معجم" ما أسميناه "بعض وصف بعض مصر"، وقد أشرت في أول يومية (23-9) "بعض" وصف "بعض" مصر!! 2007 (1) إلى "بعض" المصادر التي يمكن أن تكشف لنا "بعض" ما يجري "هنا والآن"، لعلنا نسارع بتحويله، أو تعديله، أو حذفه، أو مواجهته، أو تطويره، أو كل ذلك لإطلاقه إلى ما يعد به، وفي اليومية التالية (24-9) "بعض" وصف "بعض" مصر!! 2007 (2) عرضت الفهرس الذى بلغ تسعة عشر فصلاً، وكان الفصل الثامن بعنوان الأخلاق في مصر، أما اليومية الثالثة (25-9) "بعض" وصف "بعض" مصر!! 2007 (3) فكانت عن بعض معالم الفصل الأول بعنوان مصر: أين هي الآن؟ ماذا هي؟ إلى متى؟ ثم حدث ما جعلنى أبدأ الآن هنا بتبين معالم الفصل الثامن عن "الأخلاق".

كنت أقلب في آخر عدد من أعداد "الإنسان والتطور" الورقية (إبريل 2000 - يوليو 2001) فوجدت ملفاً كاملاً عن "إشكالية الأخلاق" وقد تناول موضوع الأخلاق عامة، وصعوبة تعريفها وتصنيفها كما كان التركيز على ما سمي بـ "الأخلاق الجامعية"، بمناسبة حادث بشع حدث في كلية الآداب جامعة

غامضة (غير مألوفة) لكنها تتخلق حالياً، خصوصا بين الشباب، حتى لو لم نلاحظها بوضوح، حتى لو كانت شديدة الندرة، وهي تحتاج أن نرصدها، ونرعاه، وننميها، ونحيطها، ونختبرها، وننتظر منها وعودها، مهما طال الزمن، حتى لو بدا ذلك أقرب إلى التفكير الآمل، وقد أسميناها "فضائل وقيم تتخلق" (مثل فضيلة الدهشة وفضيلة الجمال وفضيلة الإبداع... إلخ)

وفيما يلي الجدول المبدئي الذي تراءى لي منذ سنة 2000 عن كل مجموعة، وذلك بعد أن تمت إضافات ليست قليلة، وجرى تحديث محدود:

المجموعة الأولى: فضائل (كاد) ينتهي عمرها الافتراضي (لإعادة النظر)
1- الثبات على المبدأ
2- 'أنصر أخاك ظالما أو مظلوما'
3- البراءة المثالية البدائية (نكوصا)
4- الفخر بالوساطة (وبالوصول)
5- مسايرة الجماعة (جدا)
6- الفخر بالنشر (لنشر)
7- الجوائز (في ذاتها لذاتها)
8- احتكار جنات الله تعالى
9- "تقديس" تراب الوطن (لا المواطنين)
10- التضحية المثالية.
11- اللقب العلمي (دون علم حقيقي)
12- التميز الفئوي الطبقي (العنصري)
13- السلامة أولا
14- الوسطية التوفيقية (التلفيقية)
15- حقوق الإنسان (المكتوبة)
16- الديمقراطية (خاصة بالإنابة)
17- التضحية (جدا)
18- النفس المطمئنة (الساكنة الساكنة)
19- العلم/"دينا" (وتكفير ما ليس كذلك)
20- الحب الإمتلاكي
21- الحب التلاشي
22- فرط الذكورة الفجولية
23 - جمال الأنوثة الغيضة (النسؤنة)
24 - الاستشهادات بكلام المهتمين (حالا أو تاريخاً)
25- التحدث بالأمثال والحكم السائرة
26 - النصح والإرشاد (بشكل مباشر)
27- النقد بسبّ الغرب (عقال على باطل)
28- النقد بسبّ سلبياتنا (عقال على بطل)
..... إلخ

المجموعة الثانية : رذائل (عادات) كادت تصبح فضائل
(للمواجهة)

- 1- الغش الفردي (بوعي أو بدون)
 - 2- الغش الجماعي (الأشرف خاصة)
 - 3- الشطارة (طول الوقت)
 - 4- التهرب من الضرائب
 - 5- البحث العلمي المصنوع
 - 6- البحث العلمي الزائف
 - 7- الاقتباس (دون إذن)
 - 8- الشللية (جدا)
 - 9- الاستسهال
 - 10- حذق التزوير
 - 11- الدين الحرقى (التعصب)
 - 12- العزوف عن القراءة
 - 13- الاحتكار في التجارة
 - 14- التفنن في "اللاعمل"
 - 15- الكسل
 - 16- التشهيل
 - 17- التأجيل (إن شاء الله سلبا)
 - 18- التفويت
 - 19- الطئيلة (التطنيش)
 - 20- الاستهلاك (والفخر به)
 - 21- فن ملء الوقت "باللاشيء"
 - 22- التوقف عند السببية الختمية
 - 23- العزوف عن السياسة
 - 24- الاستغراق في التاريخ
 - 25- الاستسلام لحرفية التراث
 - 26- التسليم الأعمى للأرقام الجامدة
 - 27- تصديق الرواية الشفاهية بلا نقد
 - 28- التخلي
- إلخ

المجموعة الثالثة : فضائل وقيم تتخلق...
(لرعاية والتنمية)

- 1- فضيلة الخيرة الطازجة
- 2- " المخاطرة المبدعة
- 3- " الحس النقى (المتفتح)
- 4- " الإتقان
- 5- " الوعى الممتلى (الممتد)
- 6- " الجهل المعرفى
- 7- " الإنصات
- 8- " التلقى المبدع
- 9- " " تأجيل الحكم "

10-	" الافتحام المسنول
11-	" حوار بالجسد
12-	" العمل البدني (واليدوي)
13-	" الحركة (جسدا وترحالا)
14-	" الصمت المتكلم
15-	" الدهشة المتجددة
16-	" تحمل الغموض
17-	" احتواء الغموض
18-	" الحيرة الخلاقة
19-	" ذكاء السؤال
20-	" وضع الفروض
21-	" نقد الفروض
22-	" نقد الذات
23-	" القدرة على تغيير الرأي
24-	" صنع الجمال
25-	" التمتع بالجمال
26-	" الإبداع المنتج
27-	" إبداع التلقي
28-	" تقمص الآخر (لقبول أصدق)
	إخ

تنبيه

إن كل قيمة من هذه القيم، سلبية أم إيجابية، يمكن أن تجد لها تعريفاً في معجم، أو موسوعة، أو شرح في/من "النت"، أو في كتاب متخصص مثل "فن الحب" أو "قبول الآخر"، أو "الأسس النفسية للإبداع" أو غير ذلك ومثل ذلك،

ومع كل الاحترام لكل التعريفات والاجتهادات، إلا أن هذا ليس مبحثنا تماماً، ولا هو منهجنا أصلاً.

هذا بحث علمي يقوم به العامة الجهلة أمثال

مرة أخرى (بعد أن عرضنا ما تيسر) نعيد التذكرة بخطوات البحث:

1) نبدأ بالكلمة التي تصف القيمة المعنية (سلبية أو إيجابية أو واعدة) أو غير ذلك،

2) ننطقها، نتأملها ونحسن الانصات لرنينها داخلنا،

3) ثم نتلفت نتابعها بأى قدر من الحدس والأمانة فيما حولنا وفيمن حولنا،

4) ثم نرجع إليها لنعيد النظر فيها، ونتحاور، أو لا نتحاور

5) ثم نتحمل مسؤولية النتائج

النتيجة

- كل واحد منا يتحمل - أمام الله ونفسه والناس والتاريخ - نتائج ما وصل إليه !!
- كذلك يتحمل - غضبا عنه - نتائج ما وصل غيره إليه (فا لبحث جار دون إذنه)
- فإذا قضينا ونحن نكدح للحق تعالى، فسنلاقه
- وإذا توقفنا دون الكدح قبل أن يأتي أجلنا، فلنتحمل مسئولية جريمة التوقف

وبعد

أليس في هذا محاولة لقراءة "ماذا يحدث"، وليس فقط "ماذا حدث"؟

- أليس في ذلك احتمال تحديد دور كل منا "فيما يحدث" بالمشاركة أو العمى أو المواجهة .. إلخ؟
 - أليس في هذا فرصة أن نساهم أن يحدث ما يحدث بطريقة أفضل ؟
 - ألا يحتمل أن تتجمع الجهود (لا التفسيرات ولا التنظير) فيخلق بشر قادرين على فعل حقيقي نواجه به ديناصورات الإنقراض، ومصاصي الدماء، ومجرمي الخراب الشامل؟
- دعونا نبدأ ولا نتوقف

(ملحوظة)

- يستحسن أن ترسل لنا تعليقك لندعو الله أن يكتبه لك في حسناتك، في الدنيا ثم في الآخرة إن شئت.
- أو نرد عليه ذات يوم جمعة، وكله بثوابه،
- أو (ربما نجمع التعليقات ونخرج منها بشيء ما)

46- من ملف القيم والأخلاق: بحث علمي شعبي !! (2)

عرضنا أمس موضوعا مزدحما، ومنهجا عبثيا (إن كنت قرأت الموضوع على أنه من باب الفكاهة، كما أوصيتك في البداية) ، أما إن كنت مثلى أخذت المسألة - ولا مؤاخذا - مأخذ الجد، فلنقدم خطوة نحو التحقق من الفرض الذي طرحناه أمس،

(ملحوظة: إذا أزعتك مشقة مواصلة هذا البحث العلمي معنا، من حقد أن تتوقف، أو تعتبره امتدادا لفكاهة أمس، أي والله، كل واحد يعمل ما يريجه)

إليك أولا هذا الأساس الجوهرى لما يسمى المنهج العلمى، يوضح معنى ما هو "فرض" أولا:

الفرض ليس سؤالاً مطروحا، (هذه مرحلة قبل الفرض)
الفرض العلمى: "إجابة محتملة"

أكثر من 80 % من ناقشت رسائلهم (ماجستير أو دكتوراة - قبل أن أتوقف عن ممارسة هذا الإثم، سامحنى الله) لا يجيبون إجابة صحيحة أو مفيدة عن ثلاثة أسئلة مبدئية هي:

(أ) ما الذى كان يشغلك وأنت تستعد لانتقاء بحثك؟

(ب) ما هو الفرض الذى بدأت به؟

(ج) هل تحقق فرضك أم تفرعت منه فروض أكثر ثراء، وما هو الأفضل؟

وكانت إجابات أغلبهم:

عن السؤال الأول أن: **هـ !!؟!**

وعن السؤال الثانى أن: كنت أبحث عن إجابة لسؤال كذا أو كيت (ولا يذكر عادة أنه وضع إجابة محتملة ، يعنى فرضا)

وعن السؤال الثالث (يجيب عادة وهو فرح فخور): نعم تحقق جدا (وكانه لا يكون بحثا إذا لم يتحقق)، ثم هو لا يجيب عن بقية السؤال الثالث عن احتمال تولد فروض جديدة، ولا حتى ب، **هـ !!؟!** = التى هى إجابة السؤال الأول.

حتى نتجنب كل هذه الأكاديمية الملتزمة الرائعة، دعونا نبدو أكثر جهلا بما تيسر من محاولة معرفة متواضعة، ونضع الاحتمالات التالية بعد أن نعيد قراءة أطروحة أمس:

• يمكن أن نتحقق (كل على حدة) من القيم التي ذكرناها، هل موضعها المناسب هو القائمة التي وضعت فيها؟ وذلك بعد أن يحدد كل منا معالم كل قائمة استلهاها من عنوانها، ويمكن أن نحذف القيمة التي نتأملها من خانتها، ويمكن أن ننقلها إلى خانة أخرى، ويمكن أن نختزع خانة جديدة (رابعة أو خامسة..إلخ)، ويمكن أن نكتشف تكرارا مملًا..إلخ.

• يمكن أن نتراجع عن هذا التقسيم تماما، ونذكر من اقترحه بما يستحقه (من لعنات، أو تشخيص، أو دعوات).

• يمكن أن نضع تقسيما بديلا جدا، مريحا جدا: مليئا بالتهيب والترغيب، والأصول واللا أصول، والكلام "البيئة" (اللغة الشبابية) والكلام الذوق (المثري)

• يمكن أن نستشهد بنصوص جاهزة رائجة، مقدسة أو مأثورة، لا نفهم معناها عادة، ولا نتحمل حقيقة مسئوليتها.

• يمكن أن نقفل هذا الملف تماما، بل ونكف عن زيارة هذه اليومية من باب أن "الاحتياط واجب" (ناسين أن الله سبحانه سوف يجاسبنا على ما عرفنا، وعلى ما لم نعرف، مادامت كانت أمامنا فرصة أن نعرفه، باعتبار أن العقل والوعي ليسا ديكورا، أستغفر الله العظيم)

كل هذا هو بعض التمهيد لعرض بعض أوجه البحث العلمي للشخص العادي (كما خلقه الله !)

هذا وبالرجوع إلى الجدول بالضغط على سهم <== المقال السابق، يتبين للزائر أن الجدول يحوى 84 قيمة (28 في 3 - لا أعرف لماذا توقفت عند العدد 28 في كل قائمة، في الأغلب لأن السبعة في أربعة بثمانية وعشرين!!! فوّت هذه من فضلك وتحمل الغموض، كما أحمله أنا!!)، ثم إنى سوف أكتفى بتناول القيمة الأولى من كل قائمة، كعينة، وللزائر أن يختار ما يشاء بعد ذلك:

المجموعة الأولى فضائل وقيم تتخلق... (لرعاية والتنمية)	المجموعة الثانية رذائل (عادات) كادت تصبح فضائلا (للمواجهة)	المجموعة الأولى فضائل وقيم ينتهى عمرها الافتراضى (إعادة النظر)
1-فضيلة الدهشة (بصفة عامة)	1- الغش الجماعى (الأشرى خاصة)	1- الثبات على المبدأ

قبل الدخول في البحث

لأننا لسنا أكاديميين، فلن نلتزم بمنهج واحد لبحث كل القيم، فكل قائمة لها ظروفها، والبحث العلمى الشعى، له الحق أن يتحرك كما يشاء، لأن أحدا لن يناقشه، ولأنه لا يسعى للحصول على شهادة، ولا مؤاخذة، ولكن هو يصير أن يحصل على حقه في الحياة، كما خلقه الله، وهو -سيحانه- الذى سيحاسبه، ويعلم لماذا لجأ لهذا المنهج دون غيره، وهو يتناول "هذه

- 4- والذى سوف ينهرنى لو لم أغش مثل ابن زميله وكيل المجلس الخلى
- 5- " والذى، وكل الآباء والأمهات، يجيئون أولادهم جدا جدا، وهم يجفون عنهم بذلك
- 6- المدرس (والناظر) يَطْنِيْلُ (أى: "يطنش" بس بالعربى) لتحسين نتيجة مدرسته
- 7- "ما هو الحكومة بتغش"
- 8- أبى يفخر بى أنى أتقنت الغش أكثر من غيرى
- 9- ربنا سيسامحنى لأنه يعرف ما فعلوه بى، وما يفعله كل الناس مثلى.

ثالثا

المجموعة الثالثة: ونتبع فى تناولها المنهج الثالث وهو: **الموافقة المشروطة**

حاول أن تصدق الاحتمالات المقترحة التالية، فإن لم تصدقها، فضع عكسها، أو بديلا عنها، أو شرطا لقبولها، أو أنت حر، إفعل ما بدا لك وسوف نتاول أول قيمة **"فضيلة الدهشة"** كالتالى:

- 1- ياه !! صحيح أنا توقفت عن الدهشة، مذ كنت طفلا، كل شىء أصبح واضحا جدا، أريد أن أستعيد حقى فيها
- 2- ربما تكون الدهشة هى التى تنقصنى حتى أشعر من جديد أنى أعيش بحق
- 3- لو ثبت أن الدهشة فضيلة، ربما يثيبنى الله عليها مهما كانت نتائجه
- 4- أنا مستعد أن أقبل أن أعاود الدهشة على شرط ألا أندش جدا (مش قوى كده)
- 5- صحيح، إن هذه الفضيلة تجعل كل قديم، جديد باستمرار، يعنى يتجدد فأجدد، يا حلاوة !!
- 6- أى ثروة يمكن أن أحصل عليها بمجرد أن أصدق أنى مازلت قادرا على الدهشة !! الحمد لله
- 7- يبدو أنهم حرمونا من الدهشة بعد أن خافوا منها وتنازلوا عنها، طيب وأنا مالى؟ (يتفلقوا) !!
- 8- يبدو أنى لو سمحت لنفسى بتواصل حتى فى هذا الاتجاه سوف أعرف نفسى قرى أكثر
- 9- يجوز أن السماح بالحق فى الدهشة، هو الإيمان بالغيب، فقد خلقنا الله بهذا اليقين الذى جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام ليعلمونا كيف نمارسه، ولو صح ذلك فسوف أفهم ما لم أفهمه عن هذا الموضوع طول عمرى !!

وبعد

لماذا توقفتُ بالأسئلة فى كل منهج عند الرقم 9 ؟؟
ربما نفس الإجابة التى جعلتنى أتوقف عند الرقم 28 فى عرض القيم فى كل قائمة (أنظر أول اليومية)

وكل عام وأنتم بخير.

الأربعاء 17-10-2007

47- لغة الطبقة "البيئة"، والقيم الأخلاقية في الأمثال الشعبية

مقدمة

من بين المصادر التي يمكن أن تؤدي بنا إلى بعض ما نتصوره قد "حدث للمصريين" خلال لا أعرف كم سنة !!! وكلام من هذا، أن نقف وقفة موضوعية أمام ما يسمى "اللغة الشبابية" السائدة حالياً (أو لغة الطبقة "البيئة" عموماً). إن الموقف الفوقى من هذه اللغة يعمينا عن دلالتها التي قد تشمل بعض الإيجابيات الخليقة بالنظر والمراجعة.

منذ حوالى عامين: في ندوة كنت مسئولاً عنها (مع د. نبيل على) عن "اللغة والثقافة العلمية" في المجلس الأعلى للثقافة قدمت ورقة عن "حركية اللغة بين الشعر والشارع" عرضت فيها رأي من أنه من المناسب أن نقارن دور الشعر بقدرته على شحن الألفاظ القديمة المعتادة من خلال تشكيلاته البديعة وموسيقاه وصوره، أن نقارن هذا الدور- من حيث المبدأ- بما يقوم به الشارع المصرى عامة، والشباب خاصة، هذه الأيام وهم يقتحمون أصنام الألفاظ ليخلقوا منها لغتهم السريعة الغربية (علينا) يركون بها جمود الألفاظ الباهتة، ويرفضون تصنيفها أو خوائها.

العجيب في أمر الرافضين لهذه اللغة الجديدة أنهم يضمنون مختلف الفئات من الصفوة حتى المحافظين مروراً بأهل الفن (الراقى) والمثقفين المكتبيين والأكاديميين طبعاً، وغيرهم. يحدث هذا واللغة الفصحى تدهور تحت سمع وبصر كل هؤلاء، ولا يثير فيهم هذا التدهور رفضاً فموقفاً حاسماً مثلما تثيره اللغة الشبابية/البيئة أيها.

ثم خذ عندك هذا الأسى الذى يصاحب هذا الرفض دون تحفظ لهذه اللغة الجديدة، حين يترجم الرافض أو الناقد على لغة زمان، وذوق زمان، ورقة زمان، وأدب زمان.

في ملف الأخلاق الذى أشرت إليه أول أمس (الإنسان والتطور 2000-2001) قدمنا عدداً من الأمثال الشعبية التى بها جرعة من الأخلاق السلبية التى لا نتوقف عندها عادة ونحن نضرب الأمثال أو نستشهد بها، وما نحن نقوم بإيجازها وتحديثها لنربط بينها وبين اللغة/البيئة/الشبابية.

إن المثل الشعبي ليس له مؤلف كما نعلم، وإن كان يمثل جزءاً من التراث الشعبي، فهو إفراز لمرحلة من الوعي الشعبي ليست قصيرة في العادة، وفرق بين التراث الشعبي، والوعي الشعبي، وكلاهما من مصادر المعرفة المتعددة المناهل. ففي حين يرتبط التراث الشعبي بالأمثال العامية والملاحم الخكية، وبعض الأساطير، يمثل الوعي الشعبي حركية ثقافة العامة وهي تتحرك وتتخلق ويعاد تشكيلها باستمرار، نحن نتعلم من التراث الشعبي الذي أُلّفه الناس عبر التاريخ ماذا كان مما قد يكون ممتداً حتى الآن، ونتعلم من النظر في الوعي الشعبي هنا والان "ماذا يحدث"، والربط بين المصرين قد يفيد في الكشف عن بعض ما "حدث" و"ما يحدث" في أن، فإذا كانت الأمثال الشعبية تعطينا مثلاً لما كان سائداً من توجهات ومواقف وطباع وأخلاق لفترة ليست قصيرة حتى استقر المثل الشعبي واستمر وطال عمره إلى أن وصلنا، فإن اللغة الشبابية تعطينا حركية الشارع الآن بين الشباب خاصة، ولا سيما من ينتمون إلى الثقافة التي أطلقوا أو أطلقنا عليها لفظ "البيئة"، بما في ذلك ثقافة الإدمان.

قبل أن أنتقل لفحص بعض عينات اللغة الشبابية كعلامة على ما "يحدث للمصريين"، قلت أعرض بعض الأمثال الشعبية التي شاعت من قديم، والتي أفرزها الوعي الشعبي المصري خلال حقبة من الزمن لا نستطيع أن نحدد ما توقعينا ولا مدة. أعرض هذه الأمثال التي بها دعوة لعدد من المواقف والتصرفات والأحكام الأخلاقية يتضاءل معه ما نتهم به اللغة الشبابية، أو لغة "البيئة"، السائدة بيننا اليوم.

بديهى أنى لا أَدافع عن هذه اللغة الجديدة على طول الخط، لكنى أحاول أن أتذكر، وأذكر، أن هذا الموقف الفوقى حركية وعى الشارع وهو يتحدى، ويخلق لغته، ويصنع ثقافته، لن يفيد لا في فهم ما مجرى، ولا في الإسهام في الإحاطة به وتوجيهه إن لزم الأمر، أو استطعنا.

بعض الأمثال الشعبية الأخلاقية

الشائع عادة عن الامثال الشعبية أنها حكم رصينة، ونقد ذاتى وتهذيب وإصلاح، دون إغفال دورها في تصوير سلبيات فترة معينة من الزمن، أو ترجيح قيم سادت في مرحلة ما من مسيرة الواقع، ترجيحاً لا يعنى بالضرورة الموافقة، ولقد سبق أن نبهنا مراراً في باب "مثل وموال" الذى انتظم فتره طويلة في مجلة الإنسان والتطور أن الاستشهاد بالأمثال ليس دعوة لتطبيقها بما هي كما هي. بل قد يصل الأمر إلى أن يكون الاستشهاد بالمثل هو تنبيه لتطبيق عكس ما يقوله المثل، وقد يكون كشفاً لأمر مجرى بشكل ملتبس، فيعريه المثل. ومع ذلك، فكثيرون منا يتصورون أن للأمثال قيمة أخلاقية إيجابية في ذاتها، في حين أنها قد تفيد في كثير من الأحيان معان سلبية، بل وقد تساعد على الحفز إلى ممارسة هذه القيم السلبية، مثل الدعوة إلى قبول الذل، أو التأكيد على التمييز الطبقي أو العنصرى، أو تشويه صورة الذات الوطنية أو القومية، أو إهانة المرأة وتحقيرها.

إن **الوعي الجماعي** قد تبلغ به القسوة مبلغاً لأخلاقياً مما ينبهه إلى أنه ليس كل ما يجمع عليه الناس، أو أغلب الناس، هو أفضل، أو أصدق، أو أرحم. بل لعل العكس يكون أقرب للصواب أحياناً كثيرة. نتذكر - مثلاً - محاكمة الحلاج، والقاضي يتذرع بحكم العامة، بعد أن استدرج الحلاج حتى "يبوح"، لكي يصدر فيه ما قرر ودبر من حكم بالإعدام متذرعاً بحكم العامة، نذكر كيف ينهى عبد الصبور مسرحيته الرائعة " مأساة الحلاج" بتذكيرنا بقسوة المجموع. (أنتم حُكْمْتُمْ فَحُكْمْتُمْ). نتذكر الآن ونقارن كيف تطور تشويه الوعي العام بألعاب المال والدعاية لتشكيل وعي أغلب الناس لتخليق قيم **استهلاكية**، حتى يكاد يصل الأمر إلى تخليق **غرائز استهلاكية** جديدة تتناقضها الأجيال لترويج سلعة، أو تعميق أيديولوجية، لا تخدم إلا طبقة منفصلة عن كل ما هو أخلاق، بل عن كل ما هو فطرة، أو قوانين بقاء (هذا، ناهيك عن تشكيل الوعي العام لتبرير الظلم والقتل وعمادى الإبادة).

سوف نقدم فيما يلي عدداً من الأمثلة التي اعتيرناها تمثل **"الجانب الآخر"** من الأمثال الشعبية، أعنى **الجانب اللاأخلاقي** بشكل أو بآخر، وذلك تمهيداً للنظر بعين موضوعية لما نسميه اللغة الشبابية/ البيئية، فيما بعد (في هذه اليومية غالباً).

1- "أصل الشر فعل الخير"

هذا مثل يبدو شديد الغرابة، ماذا يريد أن يقول؟

هل هو ينهى عن فعل الخير أم يشكك في جدواه؟ هل يريد منا أن نقتل بعضنا بعضاً خوفاً من أن ينقلب الخير شراً؟

أين هذا المثل من المثل الذي يمثل عكسه تماماً وهو الذي ينبهنا ألا ننتظر العائد السريع لفعل الطيب. ذلك المثل الجميل الذي يقول **"إعمل الطيب وارميه في البحر"**.

2- "إضرب البرئ لما يقر المتهم"

المثل ينبهك ألا تتردد في ضرب البرئ، برغم أنك تعرف أنه برئ، وليس حتى متهماً يمكن أن تثبت براءته، أو أنه يضرب حتى يقر بذنب لم يرتكبه، هذا المثل يوصي بضرب البرئ وهو يعترف أنه برئ منذ البداية، لماذا؟ حتى يقر المتهم خوفاً من أن يأتي عليه الدور فيعذب كما رأى البريء يعذب أمامه؟ ياه!! برغم أننا لا نعرف حجم ولا مدى ما يجرى من تعذيب في سجوننا وأقسامنا هذه الأيام، لكنني أتصور أن التعذيب قد يقتصر على المتهم، أو حتى يمتد إلى أهله لتعذيبه عن بعد، لكنه متهم على أية حال، ولكنه - التعذيب - ربما لا يركز هكذا بوضوح على البريء كما يقول المثل (لست متأكد).

3- "إطعم مطعوم ولا تطعم محروم"

سبق أن فسرنا هذا المثل تفسيراً إيجابياً، (الإنسان والتطور: العدد الثالث والعشرون لسنة 1985). وقد بدا ذلك التفسير للكثيرين تعسفاً. عرضنا آنذاك تيريرا أو تفسيراً يقول: إن هذا المثل قد لا يوصي بإطعام المطعوم دون المحروم، ولكنه ينبهه إلى درجة ما من الحرمان تجعل كل ما يُلقى إلى المحروم

يكتفى في دوامة طلب المزيد، حيث أن الخروم لا يقدر ما يُعطى، وهو لا يشبع مهما أعطى، في حين أن من سبق أن تذوق طعم ما يعطى يمكن أن يقدره، فيرتوى به إذ يكتفى بالقدر المناسب.

كثير من القراء والاصدقاء اعتبر هذا التفسير تعسفا وترييرا لحرمان الخروم، وتدعيما للموقف الظالم بأن من عنده يُعطى ويُزاد، ومن ليس عنده يهمل، ويُنكر، ولو حتى مات جوعا واحتياجا. هذا التفسير الأخير، الذي هو تصحيح للتبرير المتقدم، لوصح ، فإنه يكون مثلا سيئا قاسيا ظالما قبيحا لأخلاقيا، بلا شك.

4- اللى بعيد عن العين بعيد عن القلب

إن العلاقات الحقيقية بين البشر لا تشترط بالضرورة حضوراً عيانياً مائلاً للآخر أمام "حواسنا" طول الوقت، لكن المثل هنا يشير إلى اعتبار أن عواطفنا عادة ما تحتفظ بها لمن يُثقلُ أمام حواسنا، دون غيره، إن العلاقة الحقيقية هي رحلة مستمرة بين الداخل والخارج، بين المائل في وعينا والمثير لأحاسيسنا وبالعكس.

المثل بهذه الصورة ينبه إلى نوع من العلاقات مرتبط باللمحة الراهنة، والصفقة الجاهزة، مع إنكار أى التزام ممتد أثناء الغياب عن الحضور الفعلي أمام الحواس "عيني عينك"، وأنا ننسى الغائب بما يؤكد مثل آخر يقول: "الغائب ما لوش نايب، والنعمسان غطا وشه"، ليستحوذ "الحاضر" على المكاسب المادية، والوجدانية معا دون الغائب والنائم حتى لو كانوا أصحاب حق، أو أصحاب الحق!!!

5- اللى يشبع بعد جوعه إدعوله بثبات العقل

يشير هذا المثل إلى أن شدة الحرمان قد تكون من القسوة بحيث إذا زال هذا الحرمان بالإشباع، وهو لا يزول عادة، لا يمتل الخروم أن يشبع، أو هو لا يكاد يصدق، حتى أنه يفقد توازنه خاصة إذا ما لُوِّح له بارتواء ماء، ارتواء لم يكن ينتظره أى ليس في حسابه.

لا يخفى من هذا المثل ما فيه من إنكار حق الجائع أن يشبع، إن المثل يستبعد أن يشبع من طال جوعه حتى يجمد ويتوازن، بل إنه يرجح أنه إذا شبع يُجن: إما لأنه لم يتوقع الشبع أصلا فهو لن يشبع مهما أكل، وإما لأنه لا يمكن أن يشبع لأنه محروم. وبالتالي هو مثقوب لا يمتلئ، (كما في المثل قبل السابق) .

هناك مثل مواز لا يمكن أن يذكر باللفاظه الأصلية يقول "زى اللى عمره ما شاف لحمه شاف" لحم" امه اتهيل". الهيل هنا هو ما يقابل ما يقوله المثل الخالى: "إدعوله بثبات العقل".

6- إن جاك النيل طوفان حط إبنك تحت رجلك

هذه دعوة صريحة إلى النجاة على حساب أى آخر، حتى لو كان هذا الآخر هو ابنك شخصيا.

لا يمكن التغاضي عن ما في هذا المثل من واقعية مرة، وهو يذكرنا بيوم القيامة، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكن الفرار يوم القيامة شيء، وأن يستعمل الواحد ابنه كأداة لنجاته، إذ يضعه تحت قدميه ليطفو هو ولو قليلا، ولو مؤقتا. هذا هو المعنى السلي الذي يشير إليه هذا المثل.

7- رب ابن ابنك، وابن بنتك لأ

هذا المثل لا يشير فقط إلى تفضيل الإبن على البنت، ولكنه أيضا يشير إلى علاقة الملكية التي تربط الإبن بأبيه، وبعصبه، دون البنت. وبإلى المسألة كانت قاصرة على التمييز في العطاء، أو الإرث، أو الفرص، لكنها تشير إلى "استخسار" التربية. والتربية قد تشير إلى الرعاية والإنفاق، كما قد تشير إلى القدوة والنصيحة، والمثل ينهي بشكل واضح عن الاعتماد غير المشروط في جيل لاحق، وأن شرط الرعاية التربوية هو انتماء الذكور انتماء عصب مباشر، هذا معنى قديم يتردد بكل لغة يقوله شاعر الفصحى:

"بنونا بنو أبائنا، وبناتنا، بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعاد"

ومع شدة قبح مثل هذا الشعر (والقبح بالقبح يذكر) نلاحظ أن زوج البنت وأهله هنا أصبحوا يمثلون "الرجال الأبعاد"

8- على ما تتكحل العمشة يكون السوق حرب

تتكرر الأمثال العامية التي تهين القبح بقسوة أيضا، وهي تنكر أصلاً ذلك الجمال الكامن فيما يسمى قبحاً، وكأن من حرم الجمال قد أذنب في حق قائل المثل. ثم أمثلة موازية تقول: "إيش تعمل الماشطة في الوش العكرك"، ودرجة أقل: "الخلو ولو قام من النوم، والوحش وحش ولو غسل وشه كل يوم".... إلخ

9- لبس الاسر امر واضحك عليه

يقال إن الإنجليز وهم يحتلون السودان، كانوا ينعمون على بعض الكبراء بحلة حمراء وهات يا كذب عليهم حين يصورن لهم أن مجرد تغيير الملابس هو تكريم لهم وإيهام بمساواة ما. وواضح ما في هذا المثل من تمييز عنصري، وامتهان، واستعلاء، واستهانة. على أن لهذا المثل تطبيق معاصر يجري حالا حين يلبس الناس "اللى فوق" بعض الشعوب الإفريقية بعض مظاهر المدنية، مثل فرض لغة فرنسية عليهم، أو تصوير ما يمارسونه من قبلية مقاتلة على أنها ديمقراطية حديثة، أو تصدير بعض قصور الإنجازات التقنية للاستعمال الاستهلاكي الضحل، كأن الشكل الحضاري يتحقق بمجرد استعمال أدوات تشبه ما يستعمله المتحضرون.

وهناك تطبيق أخفى يتم في مجال نشر الأبحاث العلمية، حين يصورن لنا أن النشر في مجلات عالمية هو اعتراف بقيمة البحث العلمية، ومن ثم فنحن علماء مثلهم، يا فرحتي!، والدليل هو أنهم سحوا لنا أن ننشر عندهم!! والأمر ليس كذلك تماما في معظم الأحيان.

أيضا، يحدث مثل ذلك في تولية بعض علماء العالم الثالث أو الرابع مناصب قيادية أو شبه قيادية في المؤسسات والجمعيات العالمية، إما لأن الدور قد جاء على قارة إفريقيا مثلا، وإما لأن هناك حاجة إلى الظهور بمظهر المساواة، وكلام من هذا.

وهنا تصبح الصورة المكافئة المعاصرة للمثل تقول: "لبس الإفريقي أو الآسيوي، منصبا رئاسيا، واضحك عليه".

تقوم أيضا شركات الدواء بتزيين بعض الوجوه، وتقديمهم لأنفسهم وللمجتمع العلمي والمجتمع الطبي العالمي، باعتبارهم روادا في مجالهم، وبعد أن صدقوا أنفسهم، هات يا ضحك عليهم، وعلينا، وهات يا نصب.

10- لولاك يا لسان ما انسكيت يا قفاي

يتضمن هذا المثل دعوة صريحة للنفاق والصمت الجبان، وهي ليست دعوة للتخلي بالصمت الخذر، أو للتحفظ في الكلام، فإن الذي يسك على قفاه مجرد أنه نطق برأى أو إشار بمشورة لا يكون سكوته حكمة، وحسابات.

11- جور الغز، ولا عدل العرب

كلمة الغز كانت في الأصل تطلق على الأتراك، ثم امتد معناها إلى التمييز الطبقي بصفة عامة.

لأخلاقية هذا الموقف لا تقتصر على التمييز الطبقي، أو التفرقة الإثنية، ولكنها أيضا تكمن في تفضيل الرضا بالذل من سيد لأنه سيد بأصله، عن العدل من عامة الناس. إن شيوع ثقافة الذل والرضا بالظلم من أي سلطة سواء كانت سلطة السادة، أو الطبقة الأعلى، أو المستعمر، أو أي شيخ أو كاهن. قبول الظلم هو أمر قبيح ينبغي أن يرفض بغض النظر عن من هو الظالم.

12- إن قابلك الاعمى خد عشا، مش حا تكون أرحم مالى عماه

هذا مثل يبدو لي في منتهى القسوة، وهو يرر التمداد في ظلم الأضعف، بل إنه يتناول حتى على رحمة ربنا، وقد أزعجت حتى أنني رفضت أن أضيف مزيدا من الشرح يبين مدى قبحه.

الخلاصة:

لعلنا نلاحظ ونستنتج من خلال كل ما تقدم

أولا: إن الوعي الشعبى قد يكون شديد القسوة، وعلينا ألا نستسلم بسهولة لما يخرج منه حتى لو تعمق وتأصل واستمر في "مثل" أو "لغة جديدة" أو أسطورة أو غير ذلك.

ثانيا: إن الزعم بأن أهل الزمن الفائت قد يكونون أقل قسوة، وأكثر حكمة، هو زعم مشكوك فيه.

ثالثا: إذن: إن أى لغة فيها وفيها، خصوصا اللغة التي يفرزها الوعي العام، في فترة بذاتها

رابعاً: إن تسجيل معالم القيم السلبية في مثل عامى متداول، أو قول شائع، في فترة بذاتها، لا يعنى الإقرار باختوى، إنه نوع من إعلان واقع ما، وبالتالي هو يتضمن بالضرورة دعوة لدراسة دلالات الذى يجرى حولنا، أو الذى وصل إلينا سواء كان مثلاً شعبياً أو لغة شبابية أو رطاناً مستورداً.

خامساً: ومع ذلك فإن قسوة الوعى العام التى لا يمكن إغفالها، لا يمكن اتهامها في ذاتها لأنها قد تكون رد فعل دفاعى في فترة من الزمن.

سادساً: إن هذا المدخل يدعونا للنظر في دلالات لغة الشارع الجديدة بشكل أحر غير الرفض والحكم الفوقى على طول الخط. وهذا ما سنعود إليه لاحقاً إن شاء الله وامتد العمر.

الخميس 18-10-2007

48- قراءة في أحلام فتاة النقاوة (2)

(تذكرة بالحلقة الأولى) (الحلم 1)

نص الحلم (2)

دخلنا الشقة .. الفتاة في المقدمة وأنا في أثرها واليواب يتبعنا حاملا الحقيبة، الفتاة على صلة بي مؤكدة وكأنها (ولكنها) غير محددة. تركنا ترتيب الأشياء ودلفت الى الشرفة المطلة على البحر ساجدا في آفاه غير المحدودة منتعشا بهوائه الرطيب منتشيا بهديره المتقطع، وإذا بصرخة تنطلق من الداخل فهزعت نحوها فرأيت الفتاة منكمشة مذعورة والنار تشتعل في أعلى الباب وقبل أن أفيق من الصدمة دخل رجل صلب الملامح كأنما قدت من صخر وبإشارة من يده أنطفأت النار وتحول ذاهبا وهو يقول:

- ربما انقطعت المياه بعض الوقت،
- وغمرني الارتياح فلم ابال بشئ.

غادرت الحجرة قاصدا السوبر ماركت لأبتاع بعض التموين المناسب.. ولما رجعت وجدت باب الشقة مفتوحا واليواب واقفا فدخلت إلى الحجرة قلقا فوجدتها عارية إلا من بقعة منتفخة بالملابس ملقاة على الأرض وذراع بيجامتي يتدلى من فتحة في رابطتها ولا أثر للفتاة فسالت:

ماذا جرى؟

فأجابني اليواب

- حضرتك أخطأت الطريق وهذه ليست شقتك فأشرت إلى ذراع البيجاما وقلت:

- هذه بيجامتي

فقال الرجل بهدوء:

- يوجد من نوعها آلاف في السوق

وملت إلى الاعتقاد بالخطأ متذكرا أنه توجد ثلاث عمارات متشابهة في صف واحد وهبطت السلم بسرعة وفي الطريق رأيت الفتاة في طرفه المفضي إلى ميدان مكتظ بالسيارات والبشر، فجريت نحوها حتى أدركها قبل أن تذوب في الزحام.

القراءة

الفتاة في المقدمة، وهو في أثرها، والبواب يتبعهما حاملاً الخفيفة،

دخل الجميع الشقة بهذا الترتيب،

لا يبدو في الأمر أى احتمال أن يكون ثمّ نداءً من جانب الفتاة يجذبه إليها، كما كنا نسمع عن جذب النداهة للمارة على الترتية،

إلا أن: الصلة مؤكدة، لكنها (كما قرأتها) غير محددة،

فضلت أن أتصور أنها "لم تتحدد بعد".

حضرتى هذه البداية بمثابة نفى لأسطورة النداهة بعد أن شوحتها العلاقات المعاصرة الفاترة الخالية من السحر والجذب الغامض، ذلك النداء السرى، المغرى، القوى، الواعد، برغم خطر الجهول، لابد وأن يحتفى مع هذا التتابع المصوف، برغم الفتاة في المقدمة.

ومع ذلك فثم يقين بعلاقة ما ، برغم غموضها. يقين دون جذب أو وعود.

الجذب كان للراوى دون الفتاة وإلى الطبيعة، مهماً أو متجاوزاً فتور نداء الفتاة الذى لم يظهر حتى الآن، الجذب كان إلى المطلق، إلى البحر "ساجاً في آفاقه غير المحدودة"، منتعشاً بهوائه الرطيب، ساجاً في آفاقه غير المحدودة"، هذا التجاوز إلى المطلق كشف أكثر فأكثر فتور النداء الغائب إلى الأخرى (الأخر) تلك التى حلت محل النداهة، لتلغيها.

ظلت الفتاة في الداخل بعيداً عن كل من البحر وعنه، حتى أعلن الحريق انفصالها المذعور.

اجتمع الحريق في معبر التواصل (أعلى الباب)، مع انطفائه بأمر من ذلك التصلب الصخرى المتمثل في الرجل صلب الملامح، والذى أطفأ الحريق بإشارة من يده، فاستغنى - ربما بتصلبه - عن ماء المحياة الذى انقطع حتى قبل أن يحتاجه لإطفاء الحريق.

ينتهى الفصل الأول هذه النهاية التى سحبت صاحبنا من حوارهِ مع المطلق، وفي نفس الوقت جمّدت الحركة، ولوّحت بزوال خطر التواصل مقابل انقطاع الماء والتصنيم، فهو الانشقاق النمطى الساكن الذى يتغذى باللا مبالة كأنها الراحة (وغمرق الارتياح، فلم أبال بشيء)،

فإلى السوبر ماركت،

ليعود، فلا يجد من نفسه المتميزة، إلا آثاره التى لم تعد متميزة،

هذا البحث عن معالم الذات التى تصبح بلا معالم خاصة (يوجد من نوعها آلاف في السوق) يرجع في سعيه للأخر، إلى بحثه الأول عن ذاته، ليست تلك التى كادت تذوب إيجابياً في المطلق

(البحر ساجا في آفاقه) والتي أَجْهَضَتْ ذوبانها صرخةً مسيخ النداهة العاجزة الفاترة الفاشلة، ولكن ذاته المغترية اللامبالية، الرتيبة التي عادت تتسوق في السوبر ماركت ، لتميح مثلها مثل الآلاف التي في السوق، بل ويصبح المحيط هو هو حيث العمارات متشابهة أيضا .

.....

لكنها ليست النهاية، فطلما أن ثمة حياة ، فثم نداء ونداء ونداهة، لكنها تبدو أكثر نشاطا، وأجمل وعدأ وسط زحام الواقع بالبشر والسيارات، شوقا إلى آخر حقيقى محاور متوجه هذه المرة إلى شرفة أجمل، وجر أكثر رحابة، وأوسع آفاقا .

هذا الاغجاب إليه "معا، متابعا أو سحراً، أو انتشاراً هو ما يميز سعى الإنسان المتصل إلى الاستجابة لنداهة لا تفصله عن المطلق، ولا تختفى فتبهت ذاته فتصبح بلا معالم مثلها مثل أى ذات، ملقاة في شقة في عمارة مثل العمارات،

لكنها نداهة أخرى تسرى بين الناس، وسط الزحام، تظل تعد جاذبة وهى تنادى، وهو يتبعها،

لينتهى الخلم: لا هو يلحق بها

ولا هى تختفى
لا هو يهملها إلى الشرفة حين يجذبه المطلق
ولا هى تنكمش من حريق فاصل، ينطفئ بأمر متصلب، جنباً إلى جنب مع انقطاع المياه

.....

إن ما يحافظ على العلاقات البشرية الحقيقية، ليس تحقيق التواصل بقدر ما هو استمرار السعى وسط الناس، مع الاحتفاظ بالمسافة تضيق لتتسع.

فإن كان ثم توجيه إلى المطلق، فليكن "معا إليه".

وإلا
فالخريق، فالجمود، فاللاماء، فالضياغ، فالنمطية
ها هى الحياة توأصل حفز سعينا إلى بعضنا البعض، وسط الزحام "إليه".

ملحوظة: لم نعد بأن نواصل لا نقد "الأحلام"، ولا "في شرف صحبة نجيب محفوظ" بانتظام متلاحق، لكن شيخنا حاضر يوم الخميس دائماً،

أطال الله عمره .

- قرأت كلمة "وكأنها" على أنها "ولكنها"، لأنها وصلت إلى وعى الناقد هكذا، وهذا ليس من حقى، إلا أن السياق لم يسمح لي أن أقبل الكلمة كما طبعت، رجعت إلى النص الأصلي بخط اليد الذى كان ينشر في نصف الدنيا مع الخلم، قبل مرحلة

الإملاء، فوجدت أن الكلمة هي كما نشرت مطبوعة، وليست كما قرأتها بوعى النقدى، وبالرغم من ذلك أصررت على قراءة متصورا أن الأستاذ - أو أى واحد - يمكن أن تحل كلمة محل كلمة بصفتها أخطاء كتابية - تماما مثل الأخطاء المطبعية - وعادة ما لا ينتبه الكاتب إليها إلا عند المراجعة، ولم تكن هناك أية فرصة أن يراجع محفوظ ماكتب، ليس فقط بسبب الخط الذى استعاد بعض معالنه بصعوبة شديدة، وإنما بسبب النظر، ولست متأكدا إن كان الحاج صبرى أو أحدنا كان يقرأ له كل ما كتب قبل أن يرسله للنشر أم لا، على أنى كثيرا ما كنت أرجع إليه إن لاحظت مثل هذه الملاحظات، وكنت أبدى له وجهة نظرى، وكان كثيرا (وليس دائما) ما يوافقنى على أنه كان يقصد ما وصل إلى.

د. رفيق حاتم ضيف واحد كريم، واعتذار للأصدقاء الطيبين

ابتداء: أود أن أقدم اعتذاري هذا الأسبوع عن مواصلة الحوار مع كل من تفضل من الأصدقاء، خاصة المنتظمين، ممن أرسل رأيهم أو تعليقه هذا الأسبوع، ذلك لأنه قد وصلني من ابن عزيز، يعيش في فرنسا، وقد تفرّس دون أن يتخوّن، فهو مازال مصريا مُقطّياً حتى النخاع، وهو دائما معي مهما طال غيابي، وزاد انشغالي، ومهما تباعدت رسائله، حتى أنني كثيرا ما أبلغه ما أريده عن طريق ابنة صديقة (هي ابنتي أيضا من زوجة أخرى هي: قصر العيني)، وقد تصادف أنها تزوجته دون علمي، والأهم أنها أم حفيداتي صديقاتي الثلاث ياسمين، وفرح، ونسمة. (ولهذا حديث آخر مهم)

وصلني بريد د. رفيق الذي كنت أنتظره منذ ورطت نفسي هذه الورطة، كنت أنتظره لأسباب لن أطيل في شرحها الآن، وإن كنت قد تطرقت إلى بعضها في حوارى مع الابن د. أسامة عرفة، لكنني هنا أكتفى بذكر سبب واحد -ولو كان في ذلك إعادة-، هو أنني كنت، ومازلت، حريصا أن أعرف من أحاطب، وأن أتابع ما يجرى في ثقافة غير ثقافتنا، من خلال رؤية وممارسة شهود عيان، أتاحت لهم فرصة الغوص إلى الداخل (داخل النفوس) لعلهم (الأطباء النفسيين أبنائي وبناتي) يجدون من غلوائى، فأتعلم، أو اصل محاولاتى بشكل أفضل.

المهم، هذا هو الابن رفيق حاتم، أهلا بك يا رفيق (أعرف أنك ستسمح لي بتقطيع خطابك، فقد اعتدت ذلك أيام كنت معنا في "الإنسان والتطور"، وقد لاحظت أنك لم تنس تقاليد هذه المجلة التاريخ، سواء من حيث "الحوار المصنوع"، أو في باب "مقتطف وموقف" قد نظمت تقديم خطابك باعتباره "موقفاً" من "مقتطف" محدد)

هات ما عندك يا رجل، أوحشتنا.

د. رفيق

كل سنة و أنت و كل من تحب او لا تحب طيبين

د . يحيى

وأنت بالصحة والسلامة يا شيخ، أين أنت؟! حلوة حكاية "أو لا تحب هذه"، صحيح!!، معك حق، لماذا لا نتمنى لمن لا نحب أن يكونوا هم أيضا طيبون حتى العام القادم، هل نعاقبهم لأننا لا نحبهم، أم نعاقب أنفسنا، وحتى لو كانوا أشراراً، فليكونوا طيبين، فتقل شرورهم، لقد فرحت يا رفيق أن ابنتي "د. أمان" أبلغتك حكاية هذه النشرة اليومية، وأنت تعرف موقف أمان الأمين الواضح، وعواطفها الصادقة المحبة، لكنها عادة لا تكتب، ولا تعقب، وربما احتراما لميولها هذه، طلبت منها أن تبلغك رغبتى في أن تتابعنا أنت بالأصالة عن نفسك، والنيابة عن من يهمه الأمر..

د . رفيق

أنا أتابع ما تكتبه بانتظام و سعيد بما تبذل من جهد لشحن الهمم و العقول.

د . يحيى

شحن الهمم؟ يعنى! أما شحن العقول، فأحسب أنك لم تنس علاقتى بشحن العقول، فالعقول الحديثة المغرورة يا رفيق- كما تعلم- قد سُجِّدَتْ أكثر من اللازم حتى أصبحت مسنونة حادة تقطع كل ما عداها لتحتكر المعارف والوسائل جميعاً_ أنت تعرف أن هدفى هو "تحريك الوعى": مستويات الوعى معاً، أو بالتبادل للتضفر، وهذا غير شحن العقول اياها أو حتى شحن الهمم، أنا أقبل طبعاً رؤيتك، وأعلم أن ما وصلك هو بعض ما أحاوله، لكنى خشيت على القارئ أن ينسى حكاية "تحريك الوعى"، التى أنا متأكد أنك على أتم إحاطة بها، أنا كتبت يا رفيق حتى اليوم 47 مقالا أو رأياً أو رؤية في هذه النشرة اليومية، فهل يا ترى قرأتها جميعاً برغم انشغالاتك، وماذا استرعى انتباهك بوجه خاص؟ فعلقت عليه؟

د . رفيق

هذا تعليق على مقالة الصوفية والفطرة والتكوين البشرى.

المقتطف: ... ربما هذا ما يشير إليه الجنيد في قوله "... إثبات ذات الله من خلال العلم أفضل من إثباتها من خلال الوجود"، العلم هنا ليس العلم السلبى الذى نعرفه، لكن العلم يعنى أنه إعدامنا للثابت الذى يحول دون حركة المعرفة المتواصلة، هو العلم الذى يتخلق منه ضده ليصبح وحدة أكبر فعدماً أنشط، وهكذا، هذا الامتداد المتصل هو أقرب عندي لقراءة معنى "... الإيمان بالغيب، لا الانعدام في الغيبوبة"، ومن ثم مواصلة السعى إليه.."

د . يحيى

إذن، أنت تعلق على تعليقى أنا، تعليقى على بعض ما اقتطفته من كتاب ماري شميل "تاريخ التصوف الإسلامى.. إلخ"، وهو الكتاب الذى ملأنى عرفاناً بفضلها، واحتراماً لها، هذا، ولعلك تابعت حوارى (المصنوع) مع د. زكى سالم حول حكاية العلم عند الصوفية، ولكن دعنا

نقصر حوارنا على المقتطف الذي اخترته، فماذا أثارك في تعليقي على ما اقتطفته وشرحت؟

د. رفيق

أثارت عندي هذه المقالة تحريك غير متوقع يتعلق بمعنى الإيمان بالغيب. فحتى الآن كان الإيمان بالغيب متعلق عندي بالتسليم السلبي انتظارا للفرج، وعدم الأخذ بالوسائل المتاحة لتحقيق المراد.

د. مجيى

جاءك كلامي؟ ألم أقل لك أنك سيد العارفي بحكاية "تحريك" هذه وليس مجرد شحذ

د. رفيق

عند قراءة المقال قفز في ذهني مفهوم متعلق بالعلاج النفسي إذ يرتبط التحسن أو زوال الأعراض بعملية إحداث أو حدوث تغير غير متوقع و غير محسوب من خلال مفردات متاحة بشكل من الأشكال Faire Advenir. مثلا...

د. مجيى

شكرا يا رفيق، ولكنك تعرف أنني لن أترجم ما لم تقم بترجمته أنت، فلا أنا أستطيع، ولا أنا أعرف تحديدا ما تقصد إلا من السياق، ولكن لأدعك تكمل أولا ..

د. رفيق

عند علاج المريض الذهاني من العرض الضلال (مثلا) باستخدام العلاج الدوائي لا يكون التحسن بزوال المعتقد الضلال فحسب وإنما بتغير ما في طريقة إدراك الواقع و التعامل معه.

د. مجيى

الناس يا رفيق عندنا، وأظن بعضهم عندك أيضا، نسوا عمق ما يجري في العلاج النفسي، أو في علاج النفوس عامة، خصوصا حكاية مثل "تغير في طريقة إدراك الواقع"، كما تقول، يحسبون ، ويرددون دائما أبدا، حكاية أن العلاج فضفضة، وكلام، وترييح، وفك عقد، وأنت تعلم أن هذا يرجع إلى ما نشيعه - نحن الأطباء النفسيين والمعالجين النفسيين - عادة، فضلا عن دور الإعلام القشري، والدراما المسطحة، ثم إن أغلب الناس والمرضى والأطباء والمعالجين أيضاً يميلون إلى قياس التغير بتغير في ظاهر في السلوك، ولا ينتبهون إلى عمق ما يجري.

د. رفيق

هذا التغير و نوعيته غير محسوب، ولكن ترقبُهُ يدخل في صميم مفهوم العلاج النفسي و أكاد أقول في أى علاج إلا أنه في العلاج النفسي يأخذ ترقب التغير مكانا محوريا بل يُسعى إليه من خلال طرق علاجية مختلفة...

د. مجيى

أظن يا رفيق حكاية "ترقب التغير" هذه صعبة على

الناس، ذلك لأن أغلبهم - بما فيهم كثرة من الأطباء والمعالجين يعتبرون هذا "التقرب" عملية عقلية واعية أكثر ، كما أنهم يقيسون التغيير بما هو "تغير سلوكي" محدد كما قلتُ حالا، وأنا لا أحسب أنك تعنى هذا أو ذاك، صدقني يا رفيق - وأنا أعلم أنك تصدقني- أننى أتابع (وأرصد هذا التغيير النوعي في، وفي المرضى، وفي أبنائي وبناتي الزملاء تحت التدريب)، أفعل ذلك بصعوبة ويقين معاً، خاصة وأن التغيير يحدث -بعد تراكم ممتد- في جزء من الثانية، وقد سجلتُ عشرات، بل مئات الأشرطة بالفيديو لأعود إليها وأنا أقدم ما يحدث، وحين حاولت الاستفادة منها وجدت صعوبة هائلة، خصوصاً مع اعتبار آداب المهنة والسماح المسبق اللازم حتماً، ماذا نفعل إلا أن ندور ونلغ، وفي النهاية نقول قول الصوفية "من ذاق عرف" وبالقياس "من تدرّب فهم وصدق"، و"من شفى تجاوز"، لكن دعنا نعود إلى حوارنا حول الإيمان بالغيب، والعلاج النفسي، ما العلاقة؟

د . رفيق

(نعم)، ما العلاقة بين الغيب والإيمان به؟ هل يمكن إذا فهم الإيمان بالغيب على أنه تسليم بأن في حوزتنا أدوات ومعطيات كامنة ومجهولة قادرة من خلال مخاض ولادة على إحضار أو تلقي شيء (من الغيب) إلى حيز الوجود. شيء ذي نوعية ودلالة متجاوزة ومغيرة لكل الحسابات؟

د . يحيى

يُمكن ونصف!!

د . رفيق

دخل في قسم الطب النفسي الذي أعمل فيه مريض تجاوزت سنه الثمانين بعد محاولة انتحار. هذا المريض يعيش وحده و كان قادرا حتى الآن على تحمل مسؤوليات المعيشة اليومية ومتطلباتها بصعوبة متزايدة يوماً بعد يوم. وبعد الفحص النفسي تبين أنه لا يعاني من أعراض اكتئابية أو ذهانية الآن أو في الماضي. وشرح لنا المريض أنه قرر الانتحار لأنه يدرك تقلص قدراته السريع وعجزها عن تحمل ضرورات الحياة اليومية، وقد أصبح غير قادر على ممارسة أى نشاط، و بالتالى قرر الموت إذ أن مشوار حياته كان مُرضياً، فقد آن الأوان لكى يذهب في سلام بدلا من انتظار تدهور وآلام و عجز حتمي.

و كان السؤال المطروح هو: لماذا نبقى هذا المريض في المستشفى و بأى حق نعالجه؟ ومن ماذا؟ إذ هو لا يعاني من أى مرض نفسى حتى لو كانت محاولة الانتحار عرضاً نفسياً. لماذا نحاول منعه عن ما نوى عليه؟ ألا يدخل هذا في نطاق التدخل في حرите الشخصية؟

د . يحيى:

ياه!! هل تذكر يا رفيق لقاءنا في الفاتيكان، وكان الموضوع الأساسى هو "القتل الرحيم" وكان المؤتمر لنقاش

د . مجيبى

لاشئ يستبعد حدوث مثل ذلك، هذا بالنسبة لمريضك المتزن العقل، برغم تقدمه في السن، فماذا عن من فقد قدراته المعرفية جزئيا أو كليا مع مرور الزمن؟

د . رفيق

هذا المريض (الذى أحكى عنه) لا يزال يحتفظ بقدراته الذهنية بالرغم من وهنها وبالتالى الأمل في التجاوز مشروع، فما بالك بمرضى عته الشيخوخة Senile Dementia ما الذى يبرر مرافقتهم والإتيان بكل أفعال الحياة اليومية بدلا منهم إذ يعجزون عن أى شئ، يربطهم بما هو حياة إنسانية إلا ما في ذاكرة الآخرين عنهم؟ وهم قد فقدوا القدرة على التعرف على أقرب الناس لهم، كما فقدوا كل قدرة على التواصل اللغوى أو بأى شكل من الأشكال؟

د . مجيبى

صحيح، مارأيك؟

د . رفيق

الإجابة التى حضرت في ذهنى متعلقة بنفس الموقف السابق و إن كان هناك إمكانية إحداث Faire Advenir نقلة أو تجاوز أو تغير غير مطروحة عند المريض للضرر الذى أصاب الجهاز العصبى إلا أن هذا لا يأخذ في الاعتبار إمكانية نقلة عند من يصاحب المريض في هذا المشوار الصعب. النقلة المحتملة والآتية إيمانا ليست فردية بالضرورة و لكنها تشمل من يحملون مشقة تحمل العلاقة.

د . مجيبى

ولكن ما علاقة هذا بالإيمان بالغيب؟

د . رفيق

إن المعطيات الكامنة والمجهولة القادرة على الحدوث ليست بالفردية أو الشخصية، كأنما ينتظر الشخص طالعه، ولكنها كامنة في نوعية العلاقة بين الأفراد. وبذلك يصبح فعل المصاحبة و تحمل الآخر بكافة الأشكال ليس من قبيل العمل الخرى أو الإنسانى الذى يستحق ثوابا فحسب و إنما هو الذى تكمن فيه معطيات حدوث تجاوز مستقبلى. هذا التجاوز إن لم يشمل مريضنا فسوف يشمل حتما مرافقه، و من تحمّل تحدى الاستمرار.

د . مجيبى

هل هذا هو بعض ما تعنيه من مراجعتك لإيجابية الإيمان بالغيب

د . رفيق

يبدو أنى أؤمن بالغيب، وأدرك عمق ومحورية هذا الإيمان، ليس كفرى دينى و إنما كضرورة حياتية.

د . مجيبى:

يا عم رفيق أنا أشكرك مجد، لأسباب كثيرة، منها أنك

ذكرتني أننى طبيب نفسي!، وأن هذه النشرة اليومية ينبغي أن تحوى بين الحين والحين معلومات وقائية وعلاجية مناسبة لزوارنا الأفاضل، ومنها أنك طمأنتى أنك ما زلت أنت هو أنت، وسوف أرسل لبعض أبنائى وبناتى عبر العالم، أطلب منهم مشاركتنا أنت وأنا، وكل من يهمله الأمر، مثلا د. يسرية أمين، ود. مؤمن النسرة، وليس د. عصام اللباد، فقد قطع علاقتى به بشكل أراحنى كثيرا، برغم افتقاده إياه نادرا، العجيب يا رفيق أننى أحيانا، كما قلت للدكتور أسامة عرفة فى السعودية، أتصور أننى أكتب فى هذه اليومية ما أراه طببا نفسيا، أكثر مما يتاح لى إلقاؤه فى محاضرة فى مؤتمر عالمى يعقد تحت رعاية مشبوهة من شركات مغرضة على بعد مئات الأميال، ولا يتاح فيها أى نقاش حقيقى، وقد كنت أتصور بعد 47 يوما من الكتابة اليومية المنتظمة هكذا، أننى سألقى من يهمله متابعة فكرى، بما يسمح لى أن أتصور أننا عقدنا مؤتمرا مستمرا فيما بيننا، بلا وصاية، ولا شبهة رشوى، ولا خدعة تسويق ما لا نريد تسويقه، لكن الأمور تسير كما ترى.

(أسمعك تقول، مع أنك أنهيت خطابك)

د. رفيق:

لماذا هذه العجلة باعنا؟

د. يحيى:

عندك حق، عندك حق، لماذا العجلة ؟

أهو الجوع إلى الناس لنحاول معا؟ أهو الأمل فى الآتى (الغيب)؟ أهو الشوق إلى الحقيقة؟ أم هو كل ذلك ؟

(أسمعك تقول ما لم تكتبه)

د. رفيق

هو كل ذلك!!!

بعد الخاتمة:

أكرر اعتذارى للأصدقاء الدائمين والجدد،

ولو سمح الوقت فيظهر بريد الجمعة يوم السبت (غدا)

كما حدث من قبل، أما إذا لم يسعنى الوقت ، فإلى الأسبوع القادم .

السبت 20-10-2007

50-التحكُّمُ، والخوف من فقده (4)

اللعبة الخامسة

"حتى في الحلم، أنا ما بقدرش أسيب نفسي على راحتها .. لحسن..."

اللعبة السادسة

"سبب أنت الأول، وأنا ساعتها"

ضيوفنا الكرام هم نفس ضيوف حلقة "التحكُّم والخوف من فقده" (من برنامج "سر اللعبة" بتاريخ 30-3-2005)

السيدة: منى، كلية الفنون الجميلة

الأستاذ: فوزى، مدرس تربيته فنية

الأستاذة: سوزان، صحفية

والدكتور: هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

(ملحوظة: للمتابعة، خاصة لمن لم يشاهد اللعبة الأولى والثانية يمكن الرجوع للأرشيف ليومية (2007/10/3) "يا خيرا!! .. دانا لو سبت نفسي، يمكن") ويومية (2007/10/10) "الجزء الثانى من لعبة التحكُّم اللعبة الثالثة والرابعة")

اللعبة الخامسة

حتى في الحلم، أنا ما بقدرش أسيب نفسي على راحتها ... لحسن ..

منى: يا دكتور يحى حتى في الحلم، أنا ما بقدرش أسيب نفسي على راحتها ... لحسن أنفذه في الحقيقة.

د/ يحيى: يا دكتور هانى حتى في الحلم، أنا ما بقدرش أسيب نفسي على راحتها ... لحسن أحلم باللى مش عاوز أحلم بيه وأشوف أكثر، يمكن ماستحملش.

د/ هانى: يا مدام سوزان حتى في الحلم، أنا ما بقدرش أسيب نفسي على راحتها ... لحسن أبقي محتاجه كل شوية ، أبقي محتاج الحلم زى ما يكون الحلم حايبقى إدمان، يبقى موجود كده ماسيبش نفسي.

أ/ سوزان: يا استاذ فوزى حتى في الحلم، أنا ما بقدرش أسيب نفسي على راحتها ... لحسن أصدقه.

د. هاني

د. هاني أيضا أقر قوة الحلم، ربما كواقع بديل مثل "مُنَى"، "سوزان"،، وأيضا أقر قوته في ذاته، حيث تصور أنه لو سُيخ له (للحلم) بالتمادي، فالتكرار، فإنه يمكن أن يصبح إدمانا لأنه، كما قال د. هاني، يمثل احتياجا ماء، (لكن لا يمكن استبعاد أن د. هاني طبيب نفسى في نفس الوقت).

د. يحيى

ما زال د. يحيى في موقفه الذي يحدد له - جذراً - مساحة السماح - حتى في الحلم - بالتالي يعلن تخوفه من أن ما يترتب على التعرية من رؤية، فبصيرة وربما مسئولية، قد تكون أكبر من احتمالها، فهو يخشى و يكرر: أنه يحاول ضبط جرعة الرؤية حتى يتحملها.

خلاصة الخلاصة

أن الحلم ليس ظاهرة عشوائية،

وأن ثمة إرادة غير الإرادة التي نعرفها تساهم في تشكيله وضبط مداه وتوظيفه إيجابيا في الأحوال العادية. (بغض النظر عن محتواه، أو تفسير ظاهره)

اللعبة السادسة

سيب انت الأول، وانا ساعتها

أ/فوزى: يا مدام متى سيبى انت الاول ، وانا ساعتها ، حاوريكى

أ/منى: يا دكتور هاني سيب انت الاول، وانا ساعتها اسيب

د/هاني: يا دكتور يحيى سيب انت الاول وانا ساعتها حاوريك سيبان ماشوفتوش قبل كدة

د/ يحيى: يا مدام سوزان سيبى انت الاول ، وانا ساعتها ، ربنا يستر

أ/سوزان: أعزائى المشاهدين سيبوا انتم الاول وانا ساعتها ، ربنا يقدرنى عليكم

آراء بعد اللعبة

أ/ فوزى: من الواضح إن مافيش حد مستحمل حد، وإن كل واحد مستنى للتان. بس سَبَّأَنَّهُ سُبَّعِيْرَة وحا يحصل انفجار

أ/ منى: معنى كده ان كل واحد ماسك نفسه على الاخر ومستنى الى قدامه يدى المبادرة إن هو يبتدى

د/يحيى: انا رأيى دا اكتشاف جيد جداً: بمعنى إن المهم مش إن ماسك نفسى علشان أنا عاوز أمسك نفسى، (برضه) لأ دا علشان اللي قصادى ماسك نفسه، و ده معنى يقولك "سيب وانا اسيب"، وحتى في المفاوضات في السياسة "سيب وانا اسيب". سيب دى قصاد دى، وساعات المفاوضات اوالعلاقات تتعثر مجرد ان كل واحد معاند وسيب انت الاول، علشان كده حكاية الحرية تنتهى

عند حريه الآخر على العين والرأس لكن ده فى المعاملات الرسمية (ويمكن) عند الخواجات الذوق، إنما عند العلاقات لما تقرب وتبقى هيمية أعتقد أن (المسألة) عاوزة درجة من المغامرة شوية (يومية) 10/16 من ملف القيم والأخلاق: بحث علمى شعبى !! (2) و"خيركم من يسبب الاول".

أ/ سوزان: انا وصلتى دلوقتى ان العلاقات الانسانية انا حسيت إن كل انسان علشان العلاقة تكون سوية لازم يتنازل- ده فى العلاقات كلها - حتى بنقول فى السياسة لازم تبدأ بتنازلات ولو بسيطة علشان الحياة تستمر.

د/مجيى: هو التنازل فيه سيبان؟ بس كلمة سيب بيتهىألى (واسعة شوية)

أ/سوزان: اوسع، بس إزاي؟ هي بتبدأ بالتنازل، مش سهلة علشان كده باقول محتاج قوة.

د/هانى: يادكتور انا وصلنى حاجة من السيبان عدكم أنتوا الاربعة، انا حسيت مدام متى بتقول سيبان وانا اسبب ومدام سوزان بتقول ربنا يقدرنى، وفوزى برضه لما دُخل . أنا السيبان لما قلتها خضرتك زى ما يكون معناها اكثر " اشوفك بتسبب بمعنى بتكسر الحدود اللى انا متوقعها، فانا حاسبب برضه

د/مجيى: أنا مش شايف الاختلاف اوى

د/هانى: انا حسيت انها سيب بمعنى سيب الضغط لكن (مش) سيب بمعنى سيبان ...

د/مجيى: انا لما قلت ربنا يستر كانت بأهوى معنى فيهم ياترى؟

أ/ فوزى: هي وصلتى بالمعنى (الشامل) (يعنى) ربنا يستر على الاتنين

آراء بعد اللعبة

بصفة عامة

أولاً: أظهرت هذه اللعبة - حتى الآن - أن مسألة السماح بدرجة أقل من التحكم، تتطلب جواً عاماً من السماح الذى ظهر فى اللعبة فى استعداد أى واحد أن يسمح لنفسه بدرجة من السيبان لو أطمأن أن الآخر بدأ هذا السماح، أو على الأقل أنه مستعد للمعاملة بالمثل.

ثانياً: بدا إن الذى يطمئن إلى سيبان الآخر أولاً، تنطلق منه طاقة سيبان تصل به إلى التقدم الجسور، وليس فقط إلى إطلاق ما بالداخل (فوزى): حاوْرىكى، د. هانى: حاوريك سيبان ماشوفتوش قبل كده - سوزان: ربنا يقدرنى عليكم)

وبالنسبة للقراءة فرداً فرداً

يمكن أن نلاحظ ما يلى:

فوزى

..... لاحتظنا في اللعبات السابقة أن فوزى هو الأكثر دفاعاً، لكنه يبدو هنا أنه حين أطمأن إلى سيبان الآخر أولاً، سمح لهذه الانطلاقة التي اشرنا إليها في الملاحظات العامة حاوْزيكي.

منى

..... كانت استجابة "منى" هادئة في حدود الطمأنينة للمعاملة بالمثل والاحترام المتبادل غالباً.

د. هانى

برغم أن د. هانى طبيب نفسى صغير، إلا أن تركيبته الدفاعية (ربما من أسبقية وغلبة المعلومات النظرية) تغلغلت فيه أيضاً مثل فوزى، وهو حين أطمأن، ترك اندفاعته المعقولة إلى مداها.

سوزان

كانت استجابة سوزان محكومة بأنها تخاطب المشاهدين، فسيبان المشاهدين - وهم كيانات غير حاضرة - لا تُطمئن، وبالتالي فإننا ونحن نقرأ استجابتها "ربنا يقدرنى عليكم" لا يمكن الجزم بما تقصد، هل معنى ذلك أنها في مقدورها أن تتحمل كم هذا السيبان من مجموع المشاهدين حتى تسمح لنفسها بمثله، أم أنها استشعرت نفس الانطلاقة التي استشعرها فوزى ود. هانى؟

د. يحيى

كانت استجابة د. يحيى أكثر تحفظاً وعمومية "ربنا يستر"، تُرى هل هو يدعو بالستر على ما سيسمح به من سيبان، بعد الطمأنينة لسيبان الآخر، أم أنه يشير إلى ما يمكن أن يسمح به أن ينطلق منه من "تعرية" أو "اندفاع"؟

خلاصة الخلاصة

مازلنا نقدم ألعاب حلقة واحدة، ونشير إلى أن ما جاء من مشاركات نقدية من القراء حتى الآن، إزاء ما نشر من ألعاب ستة (بقيت أربعة) هو محدود جداً، فننتقدم بدعوة صريحة للقراء والزوار والنقاد للمشاركة والتصحيح، حتى نأمل أن نجمع المادة في النهاية بعد هذا الصدور المسلسل، فيما يفيد أكثر، ربما، إن شاء الله.

تنويه

النقط الواردة في المتن، حتى في الاستجابات تشير إلى ما حُذف من النص لأسباب توضيحية،

في حين أن الأقواس الكبيرة هى عادة إضافة من التحرير حتى يتضح السياق

مع الحرص على ألا يترتب على هذا أو ذاك أى تحوير للمحتوى. (ويمكن الرجوع إلى التسجيل للتأكد)

شكراً

مقدمة

وأنا أقلب أوراقى - وهذا مرة أخرى من أهم أفضال هذه النشرة اليومية - وجدت كتابا بأكلمه بعنوان " إشكالة الإدمان، والقيم المعاصرة"، من 245 صفحة من القطع الكبير، (لم ينشر طبعا) تأليف العبد الفقير إلى رحمة الله ونظرة منكم، وفي صفحة 29 وجدت فيه حديثا ردّدث فيه على عدد من الأسئلة الهامة حول هذه " الكارثة الرائعة"، وتصورت - دون أن أتأكد - أن هذا الحديث موجود في مكان ما بالموقع،

لكننى عدت أتساءل: كم من زوار الموقع عامة، والمتابعين لهذه النشرة اليومية خاصة، سوف يعثر على هذا الحديث الهام عن ظاهرة الإدمان؟ ثم إنى تذكرت أن كثيرا مما ظهر حتى الآن في هذه النشرة، قد يكون إعادة، أو تحديث، أو اقتطاف مما هو موجود في مكان آخر بالموقع،

إذن!! هذا مسموح، فاخترت أن أنشر هذا الحديث بأقل قدر من التدخل، وإن كنت لا أذكر: مع من أجريته؟ وهل نشر أم لا؟ ولا أين؟

كل هذا يجعله أحق بالنشر، أو إعادة النشر هنا.

سؤال & جواب عن الإدمان

1- من هو المدمن؟!

هناك تعريف طبي أكاديمي للإدمان، تكرر حتى قنّز، وهو يعرف المدمن بأنه من اعتاد حتى اعتمد على مؤثر كيميائي، طبيعى أو صناعى من خارج جسده، حتى أصبحت خلاياه لا تستغنى عنه.

إلا أن التعريف الذى اقترحتُه ذات مرة بعد الهيجة الأخيرة الدائرة حو الإدمان هو أعم وأشمل، حيث أرى: أن المدمن هو من اعتاد - بأى وسيلة- على تعتييم وعيه، حتى أغلق اهتمامه، وسكن إلى اعتمادية ضارة، سواء كانت هذه الاعتمادية المستمرة والمعطلة هى اعتمادية على أحد أو على فكرة، أو على عقيدة أو على وصفة طبية كيميائية.... إلخ.

2- متى يصح أن نصف إنسانا ما بالإدمان؟

بالتعريف السابق، يمكن أن نصف أغلب الناس بذلك، وإنما يهمني ألا أبالغ بالتعميم، فأكتفى بأن أضع ثلاثة شروط لوصف "المتعاطي" (والمتعاطي غير المدمن!) بهذه الصفة (بالمعنى السلي)، وهي:

- 1- التعود حتى العجز عن التخلي عما يتعاطاه
- 2- وتعتيم الوعي على حساب الوعي العادي المسئول
- 3- والضرر الناتج عن هذا وذاك، بما في ذلك الإعاقة عن التكيف، وإيذاء الذات، أو الآخرين.
- 3- هل يشمل الإدمان عامة بالتعريف الواسع الذي ذكرته: المخدرات، الكحوليات، المكيفات بأنواعها، التدخين، الطعام والشراب، وغيرها من بعض السلوكيات المعتادة والشائعة؟! نعم، يشمل كل ذلك، بل وأضيف عليها أنه يشمل: الأفكار والمعتقدات، وبعض طرق البحث (العلمي!!!) وبعض طرق التفكير، بل وبعض طرق الترفية، مثل إدمان العادات الاستهلاكية.

وأنا لا أستطيع أن أفصل الدعاية التي تهاجمنا ليل نهار لتروج لما يسمى بمجتمع الرفاهية، أو لتسوق حبوب السعادة والطمأننة الكيميائية التي يوزعها الأطباء، لا أستطيع أن أفصل هذا أو ذاك عن المصيبة التي نعيشها واسمها الإدمان (في صورته السلبية) فكل منها يروج لنوع من سبل الاستسهال والخذل، وإن اختلفت اللغة وتنوع التبرير.

4- إلى أي مدى تصدى الإعلام المصري - والعربي- لظاهرة الإدمان، بالتوصيف والشرح والتحليل ووسائل الوقاية والعلاج، وغيرها.. هل كان منمفا أم مبالغاً أم صادقاً أم مزيفاً للحقائق؟!

إلى المدى المضحك والمزعج معا.
أنا لا أنكر الاجتهاد وحسن النية من كل من حاول ويجاوب.

ولكن صدقيني أنا كنت أشاهد أحيانا في التلفزيون مقابلات مع مدمنين وأطباء هي أقرب إلى المسرح الفكاهي السخيف. بالله عليك: على من نضحك بهذه البرامج؟.

وأحيانا كنت أستمع للنصائح باعتبارها توجيهات إلى ضعاف العقول لا أكثر، وليتها توجيهات تليق.

ثم عندك مسألة الأفلام (فيما عدا العار)، شاهدت أفلاما ترسم صورة المدمن كأبهج، وأحذق، وأخف دما من أي ملتزم (قفل) آخر في الفيلم، خاصة لو كان يدرس الدكتوراة!! (فيلم الكيف مثلا)،

ثم فيلم آخر (فيلم الوحل) يروج إلى أن الإدمان ليس له علاج في مصر، ثم يكاد يقول في النهاية: إن العلاج في الخارج وعلى نفقة الدولة هو الحل.

يا صلاة النبي!!!

أهذا هو دور الإعلان!! والفن؟.

ثم هذا الذي نشر في صحيفة يومية طوال شهور كان أغلبه للأسف مستورد، ورغم حسن النية ونجاحه في إثارة حوار حول المشكلة، إلا أنه انتهى بشكل أو بآخر إلى النصح والإرشاد، واستيراد الأفكار والمناهج من الخارج، بشكل حرفي تقريبا.

لقد كدت أشك أننا نضر القضية بفرط النشر حولها هكذا، بل بهذا الحديث الذي أدلى به حاليا.. أيضا، ولولا أنني أعلم أن غري سوف سوف يفتي - بلا تردد- بما أعتبر نفسي مسئولا عن سطحته، وضرره (لو امتنعت) لما فتحت فمي بكلمة.

5- ما هو تأثير المخدرات - تحديدا- على مخ الإنسان - أجزائه ومكوناته وعمله ونشاطه ووظائفه- الخلايا العصبية والأوردة الدموية والعقل الباطن والواعي، والذاكرة، والتفكير، وغيرها من مكونات وأجزاء المخ، وعمله ووظيفته؟!

هو تأثير سيئ جدا، على كل هذا.

ولكن ماذا يفيد المدمن من هذا التأكيد الخطابي كله، أو من تفصيل في ذكر معلومات أكاديمية جافة

إن غير المدمن لا يهتم هذا.

وأهل المدمن يعرفون الشر والأذى والضرر أكثر من أي طبيب،

والمدمن ليس هنا من أصله،

فلمن نكرر مثل هذا الترهيب، والتخويف ليل نهار، ونحن نعد معلومات ليس لها فائدة عملية!؟؟.

6- لو أن إنسانا ما، شم شمة معينة من المخدرات.. ما الذي يحدث- بالتحديد- منذ استنشاقه، أو شمّه لهذا المخدر أو ذاك، من خلال أنفه.. ما هو الطريق الذي يسلكه المخدر- من فتحة الأنف- حتى يحدث تأثيره على المخ والجسم حياة الإنسان، بشكل عام؟!

بالله عليك هل هذا مفيد نشره في الصحافة العامة؟

ثم إشاعة أن شمة واحدة تكفي للوقوع في هاوية الإدمان، هو حديث أشبه بالدعاية إلى قوة المخدرات التي لأتقاوم، وهو توريث لمن يخطئ مرة واحدة بالصدفة، وهو نوع من التحويل الذي يجعل الشاب يستسلم قبل المعركة بزمان.

إنني أعتبر أن الأهم هو أن نعلن أن الترويج المباشر وغير المباشر للمخدرات الكيميائية بواسطة الأطباء عامة وأطباء النفس خاصة هو الخلفية التي تساهم في تفاقم هذا الخطر، وذلك نتيجة لغسيل المخ الذي تمارسه ليل نهار الدعاية المفرطة لضرورة الأدوية المهدئة كجزء لا يتجزأ من طقوس العُصْرنة، وكمظهر للمتطلبات الأساسية لمجتمع الرفاهية قبلة الإنسان

المعاصر على مستوى العالم، هذا وذاك هو الذى يؤدى بنا إلى ثقافة التخدير التى يتعرع فيه الإدمان.

فكأن الناس، فالمدمنين خاصة، يقولون للأطباء والساسة وقيم العصر:

ما دام الأمر تخدير بتخدير، فقد جربنا وثبت أن بضاعتكم نصف نصف، لا تقوم بالواحب، فلنأت البيوت من أبوابها، وهات يا تخدير بحق وحقيق.

7- بالمناسبة: هل يختلف تأثير المخدرات الطبيعية- الحشيش والأفيون وغيرهما- عن الأخرى التخليقية والمركبة، فيما تحدثه من آثار؟!

طبعاً تختلف: ولكن ما جدوى هذا السؤال - أيضاً - بالله عليك؟

في تصورى أن المهم هو أن نفرق بين تعتعة الوعى، وهو أمر ضرورى للحركة العقلية، وخاصة الحركة التى تمارس التفكير، والإقدام على اختراق المسكنات العقلية التى تكبل وجودنا، وبين تعميم الوعى، وهو ما ينتهى إليه تعاطى أى مخدر أو منبه.

ونحن قد مسحنا، وشجبنا، وحرّمنا، كل نشاط جماعى أو فكرى يساعد على حركة التفكير القلقة الكريمة نحو الاكتشاف والإبداع، فاضطر الناس إلى تحريك وعيهم (تعتتته) بالمخدرات، والمنبهات الطبيعية (كالخشيش) أو الصناعية (كالعقاقير)

ثم رحنا نلومهم، ونعالجهم

قولى بالله عليك، مادام الرقص الجماعى مرفوض (عيب، وقلة أدب)، والذكر (ذكر الله فى الموالد، وفى الحضرة الأسبوعية أو الشهرية فى الأرياف، ربما زمان!) يعتبر من قبل السلطات الدينية، والأخلاقية: "دجل وشعوذة"، كما يعتبر الزار تخلفاً، ولا يبقى لنا إلا أن ننام أمام التلفزيون بعد الساعة الواحدة صباحاً؟ فماذا يتبقى بما يسمح لحركة العقل أو الجسد أن تكتشف الحياة وتعمقها وتعيد تخليقها؟، أفلا يؤدى كل هذا "الحظر على حركة الوعى" إلى أن يلجأ الشباب - فيما يشبه الاحتجاج- إلى تحريك عقولهم بهذه الحركات الكيميائية المُفخمة السامة؟ بما يؤكد لهم أنهم مازلوا أحياء لهم حقهم فى الاختلاف حتى الموت خدرا؟؟؟؟!

8- طيب: هل يختلف التأثير بين المخدرات- طبيعية كانت أم تخليقية- عن الكحوليات التى يجرى تناولها عن طريق الفم.. وهل تؤثر الكحوليات فى المعدة والأمعاء والكبد أكثر.. أم فى المخ والخلايا العصبية أكثر؟!

مرة أخرى: ما فائدة الأجابة المتحلقة على مثل هذا السؤال مهما بذت إجابة علمية.

الإجابة بالمختصر المفيد هي:

طبعاً يختلف، وكله أكثر من كله!!!!.

وأنا أعنى بهذه السخرية أن المسألة ليست مسألة تنافس في الإضرار، صحيح أن على الطبيب أن يعرف مضاعفات هذا ومصائب ذلك، كما أن عليه أن يحذق تحديد موضع الضرر بشكل خاص، ولكن الأمر بالنسبة للشخص العادي (الذي هو مشروع المدمن بشكل أو بآخر) هو مختلف، لأن الشخص العادي لا يختار العقار الذي سيصيب كبده دون مخه، أو سيضر معدته دون صدره، ينبغى أن يكون مدخلنا إلى هذه المسائل مختلف من مخاطب إلى مخاطب. فالعلمة الطبية الأكاديمية قد لا تعنى شيئاً لا عند المدمن، ولا عند الشخص العادي، في حين أن المعلومة التطبيقية التي تسد حاجة السائل وتهديه إلى أهدافه هي التي يجدر بنا أن نقدمها للناس.

إن كل هذه المواد المخدرة لها استعمالها الطبية المناسبة، وبالتالي لها فوائدها، بجوار أضرارها طبعاً، وحتى تغيير الوعي الذي هو هدف أساسي في عملية الإدمان قد يكون مطلباً طبيياً في وقت من الأوقات، سواء أثناء عملية العلاج المكثف لبعض الأمراض النفسية أم في أزمات النمو الخاصة، والوظيفة التي يؤديها أي "مغيّر للوعي" للوعي هي وظيفة ذات حدين، ففي حين أن التعتة التي تسمح بالحركة التي قد تكون مطلباً محدوداً في وقت ما، فإن التعميم ثم اخو هو ضرر مطلق في نهاية الأمر، والمصيبة أن غير الطبيب لا يفرق بين تعتة وتعميم، وحتى الطبيب وهو يستعمل عقاقيره الطبية أحياناً ما يتجاوز الحد بين التهدئة، والتطمين، أو بين التخدير والتذهيل (من الذهول)، كذلك هو أحياناً ما يتخطى مرحلة التعتة - التي قد تكون إيجابية - دون أن يتبين متى ولا إلى أين هو ذاهب بهذا التحريك المحسوب أو غير المحسوب للوعي.

وكل هذا ينبغى أن يُتناول بأكبر قدر من الشجاعة والمسئولية والعلم والأخلاق والالتزام، بدلا من الهرب وتوزيع قشور المعلومات، ونشر النصائح الزائفة، والمعلومات الناقصة

9- بعد كم جرعة أو شمة أو قطعة أفيون أو حشيش أو كأس خمر، يصبح الإنسان مدمناً؟

هذا أمر يختلف من فرد لفرد.

فونستون تشرشل كان يشرب برميلا من الخمر، وهو رئيس وزراء، وأديب، وفنان، وإنسان ولايعتبر مدمناً.

وسيد درويش كان مخزن مخدرات متنقل، وقد ترك لنا في سنوات ما لم يقدر حق قدره حتى الآن.

وأسمهان كانت تتعاطى كل ما يتعاطاه، وما لا يتعاطاه ثلة بأكملها من المدمنين.

ولكن هذه حالات فردية لا يقاس عليها، لكن القصد من ذكرها هو التنبيه على أن التعميم هو ضد العلم وهو يشوه الحقائق، وأن المسألة لها - دائماً - أكثر من وجه، وأكثر من

حساب، وأن الفروق الفردية شديدة الأهمية والدلالة، وأن ظروف التعاطي تختلف، ولا بد من حساب كل حالة على حدة، ولا داعي للترويج لحكاية شمه واحدة تكفى للغوص في بئر الإدمان، كما ذكرنا في بداية الحديث.

10- لو كان إنسان ما مدمنا.. كيف يقلع؟! ولو لم يكن، كيف يتجنب ويتحاشى ويتقى الإدمان!؟

أولاً: أحب أن أؤكد عكس النغمة الشائعة التي يغلب عليها قدر كبير من اليأس والتعجيز فيما يتعلق بعلاج الإدمان، فأقول: **إن للإدمان علاج.**

فقط لابد من تحمل الإلتزام بالعلاج الطويل المدى بما في ذلك حدوث بعض النكسات.

ثانياً: أحب أن أنبه أن مجرد الإنقطاع عن المخدر ليس هو العلاج، ولكنه المرحلة الأولى فحسب.

ثالثاً: أحب أن أؤكد أن المدمن لا يحتاج إلى من يقول له هذا مضر، وكفى، وإنما يحتاج إلى بديل يحقق له ما كان يتصوره سيتحقق بالمخدر.

لابد أن نفهم أن المدمن (مثل أي إنسان) **يحتاج** إلى صحبة طريفة شريفة، بدلا من الصحبة الذاهلة الغائبة.

(وهذا هو دورالعلاج الجمعي والتأهيل في مجتمع علاجي، ثم المجتمع الأوسع بعد ذلك وقبل ذلك)

إن المدمن (كما أي إنسان) **يحتاج** إلى تحريك وعيه (تعتته) بطريقة أكثر أمانا مع آخرين

وهو (مثل أي واحد) **يحتاج** إلى تحريك الإبداع الذي يصاحبه نوع من تغيير الوعي الخلاق، حتى لا يحتاج إلى المخدرات والمواد التي تفتعل تحريك الوعي، لكنها سرعان ما تجهض المحاولة بالتعتيم بعد التعتة)

وهو أخيرا **يحتاج** (مثلنا جميعا) لأن نحترم وجوده حتى لا يلغى نفسه وكيانه وراء غيامة الخدر.

وكل هذا وارد في العلاج في المجتمع العلاجي،

ومعسكرات العمل والتأهيل الممتد.

كما أنه لازم لنا جميعا للوقاية من كل أنواع الإدمان بلا استثناء.

- الأهرام: رئيس التحرير أيامها أظن من أكثر من عشر سنوات.

أكتوبر 2007: أسبوع 3



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها وأشرف عليها ومشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المهانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمّل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحلات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجره (ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والتعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويًا مثل أمس - تبادل الأئنة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس لكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتابات
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

